نظام المدارس في الشام
في الحقبة ما بين القرنين الخامس والتاسع للهجرة

هاني أبو الرب

جامعة القدس

تلخيص:

يتناول هذا البحث نظام المدارس في الشام فيما بين القرنين الخامس والتاسع للهجرة من حيث نشأتها وتخطيطها وتمويلها ومناهجها وموظفيها وطلابها ومخصصاتهم النقدية والعينية. كان أهل نيسابور أول من أنشأ نظام المدارس في الإسلام، وتبعهم السلاجقة، ثم عمل الزنكيون والأيوبيون والمماليك من بعدهم على نشرها في مدن الشام كافة، واختاروا لها المواقع الجميلة وبنوها على نحو يساعد على إنجاح العملية التعليمية. وتتألف مبانيها من قاعات التدريس والمكتبة والمسجد وسكن المدرسين والطلاب، وتصدرت علوم الشريعة والعربية والحساب والمنطق مناهجها الدراسية، وتخصص بعضها في الطب والهندسة والفلك. ومدة الدراسة فيها خمس سنوات ويمنح بعدها الطالب إجازة بالمواد التي اجتازها، وأخذ العاملون والطلاب فيها عطلا أسبوعية وسنوية.

وتألفت هيئة العاملين فيها من المدير (الناظر) والمدرسين والمعيدين والقيم والمؤذن والبواب، وروعي في اختيارهم الكفاءة والمقدرة وأن يكونوا من أهل التقوى والصلاح من أهل السنة والجماعة، واشترط في طلابها حسن السلوك وأن يكونوا من أهل السنة. ويعتمد عدد الموظفين والطلاب فيها على سعة مبانيها وحجم الأوقاف المخصصة للإنفاق عليها. التي تعرضت أحيانا للسرقة والنهب مما أدى إلى خراب بعض المدارس وتوقفها عن العمل، وأسهم خريجوها في رفد مؤسسات الدولة بالموظفين المؤهلين، وساعدت في ظهور طبقة الأدباء والعلماء الذين أثروا المكتبة العربية بمؤلفاتهم.

مقدمة

تم اختيار المدارس في الشام في الفترة ما بين القرنين الخامس والتاسع للهجرة، موضوعاً لهذا البحث من أجل التعرف إلى تاريخ نشأتها وانتشارها ومناهج التدريس فيها، والشروط الواجب توافرها في مدرسيها وطلابها، وأنظمتها وإدارتها وتمويلها. وما طرأ على هذه الأنظمة من تطور أو تغيير.

وقسم البحث إلى مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة، إضافة إلى قائمة بمصادر ومراجع البحث. وتناول المبحث الأول نشأة المدارس وانتشارها وتخطيطها. استعرض المبحث الثاني المناهج الدراسية ومدة الدراسة وأيام الدوام والعطل والشهادات، ودرس المبحث الثالث العاملون والطلاب ومخصصاتهم النقدية والعينية. واشتملت الخاتمة على خلاصة البحث ونتائجه.

المبحث الأول: نشأة المدارس وتخطيطها:

نشأتها وانتشارها:

تختلف المصادر في تحديد أول من أنشأ المدارس في الإسلام، فيذكر كل من ابن خلكان والذهبي أن الوزير نظام الملك السلجوقي "408 – 485هـ" هو أول من أنشأ المدارس فاقتدى به الناس"[1] في حين يذكر كل من السّبكي والمقريزي أن أهل نيسابور هم أول من أنشأوا المدارس في الإسلام [2]، وقد رد السّبكي على من ادعى أن نظام الملك أول من أنشأها بقوله: "وشيخنا الذهبي زعم أنه "نظام" أول من بنى المدارس، وليس كذلك فقد كانت المدرسة البيهقية بنيسابور قبل أن يولد نظام الملك، والمدرسة السعدية بنيسابور أيضاً بناها الأمير نصر بن سبكتكين أخو السلطان محمود لما كان والياً بنيسابور، ومدرسة ثالثة بنيسابور بناها أبو سعيد إسماعيل بن علي المثنى الإستراباذي الواعظ الصوفي شيخ الخطيب"[3].

ورجحت أكثر الدراسات الحديثة الرأي القائل أن أهل نيسابور هم أول من أنشأ المدارس في الإسلام[4]. وسمى بعضها عدداً من المدارس التي أنشئت في منتصف القرن الرابع الهجري، وقد بنى الشافعيون في نيسابور لإمامهم الحسين بن علي النيسابوري "ت: 349 هـ" مدرسة خاصة به، وبنوا في طهران مدرسة للإمام الحاتمي "ت: 362 هـ"[5]. وكان للإمام حسان بن أحمد النيسابوري "ت: 349 هـ" مدرسة خاصة به[6]. وذكر المقدسي "ت: 380 هـ" أن من بين الأعمال التي شغلها في أثناء رحلاته التدريس في المدارس[7]، وبذلك يتضح أن نظام الملك لم يكن أول من أنشأ المدارس في الإسلام، لكنه كان أول من أجرى الرواتب والأرزاق على الطلبة، ذكر السبكي: " أن نظام الملك أول من قدر المعاليم للطلبة".[8] وهو ما أشار إليه ابن الأثير الذي ذكر أن نظام الملك " أمر ببناء المدارس في سائر الأمصار والبلاد،

وأجرى لها الجرايات العظيمة"[9]. وأن المدرسة النظامية ببغداد "أول مدرسة قرر فيها للفقهاء معاليم وهي منسوبة إلى الوزير نظام الملك"[10].

وبذلك يمكن القول أن أهل نيسابور هم أول من أنشأ المدارس في الإسلام، وأنهم سبقوا نظام الملك في ذلك، لكن عمله يعد أول عمل رسمي أشرفت فيه الدولة السلجوقية على بناء المدارس[11].

وانتقلت فكرة المدرسة من خراسان والعراق إلى الشام، إذ أنشئت المدارس في حلب ودمشق وسائر المدن الشامية، فذكر المقريزي أن الناس في الجزيرة الفراتية اقتدوا بنظام الملك في إنشاء المدارس[12]، وأنشئت أول مدرسة في دمشق سنة 491هـ[13]، وهي المدرسة الصادرية الحنفية[14]. وأول مدرسة أنشئت في حلب هي المدرسة الزجاجية سنة 510 هـ [15]، ثم جاء نور الدين محمود زنكي (ت: 569هـ) فتوسع في إنشاء المدارس في الشام بعد استيلائه عليها، فأنشأ عدة مدارس للشافعية والحنفية[16]. واستدعى نور الدين العالم شرف الدين بن أبي عصرون وبنى له المدارس بحلب وحمص وحماه بعلبك، وبنى لنفسه مدرسة بحلب وأخرى بدمشق[17]. وهذا ما أكده محمد كرد علي أن نور الدين لما استولى على الشام كانت له همة عظيمة في إنشاء المدارس لأهل السنة والجماعة، وأنه أخذ يستدعي فحول العلماء من الأقطار ويبني لهم المدارس ويدرّ عليهم المشاهرات[18].

واقتدى به صلاح الدين وأبناؤه ومن جاء بعدهم من ملوك الترك وأمرائهم في بناء المدارس في الشام والجزيرة[19]، فذكر ابن خلدون أنهم "استكثروا من بناء المدارس والزوايا والرُبط [20]. وحذا حذوهم بعض كبار التجار والمحسنين من الأغنياء، فقد أنشأ المدرسة الأصفهانية بدمشق رجل تاجر من أصفهان[21]. وبنى الناصر هبة الله بن محمد الأنصاري المعروف بابن رواحة (ت: 623 هـ) المدرسة الرواحية[22]، وبنى التاجر جمال الدين الساوجي المدرسة الساوجية بدمشق[23]. وأسهمت النساء المحسنات ولا سيما الملكات وبنات الملوك والأمراء في بناء المدارس ووقف الأوقاف عليها، كما ذكر ابن جبير:"ومن النساء والخواتين ذوات الأقدار من تأمر ببناء مسجد أو رباط أو مدرسة، وتنفق فيها الأموال الواسعة وتعين لها من مالها الأوقاف"[24]. حيث قامت ست الشام أخت السلطان صلاح الدين الأيوبي "ت:

616هـ" ببناء مدرستين بدمشق هما: المدرسة الشامية البرانية[25]، والمدرسة الشامية الجوانية[26]، وبنت الست عذراء بنت أخي صلاح الدين المدرسة العذراوية بدمشق[27]. وبنت عصمة الدين خاتون، زوجة نور الدين محمود، ثم زوجة صلاح الدين من بعده، المدرسة الخاتونية الجوانية بدمشق أيضاً[28].

وبعد تحرير القدس من الصليبيين عام 583 هـ بنى فيها السلطان صلاح الدين المدرسة الصلاحية التي حملت اسمه. [29] واقتدى به من جاء بعده من ملوك وأمراء بني أيوب، فتنافسوا "فيما يفعلونه من الخيرات في القدس للقادمين والظاعنين والقاطنين" [30]. وذكر محمد كرد علي أن " أول ما عرف من المدارس في القدس ما بناه صلاح الدين يوسف بن أيوب ونسب إلى جماعته"[31].

وبنيت مدارس أخرى في بصرى ومنبج والكرك وغزة والرملة ونابلس زمن الأيوبيين والمماليك[32]، وكان هناك مدرسة بحرّان عندما زارها ابن جبير سنة 580 هـ[33]، ومدرسة أخرى بحمص[34]، وما بين خمسة إلى ستة مدارس في حلب[35]، ويبدو أن بعض مدارس حلب قد تعطلت في العهد المملوكي، فعندما زارها الرحالة ابن بطوطة "ت: 779هـ" كان بها أربع مدارس فقط[36]، وبنى تقي الدين عمر صاحب حماه زمن صلاح الدين مدرسة بالرها[37]، وبنى سيف الدين بكتمر "ت: 724 هـ" مدرسة بالسلط[38].

وكان عدد مدارس دمشق عندما زارها ابن جبير سنة 580هـ "حوالي عشرين مدرسة"[39]، للمذاهب السنية الأربعة، وارتفع عددها زمن المماليك فوصل إلى أضعاف هذا الرقم، فقد ذكر النعيمي "ت: 927 هـ" أسماء مئة وثلاثين مدرسة في دمشق وحدها، منها ثلاث وستون مدرسة للشافعية، واثنتان وخمسون مدرسة للحنفية، وإحدى عشرة مدرسة للحنابلة، وأربع مدارس للمالكية، وثلاث مدارس للطب"[40].

وقد هدف السلاجقة ووزيرهم نظام الملك من انتشار المدارس في البلاد الإسلامية الخاضعة لهم إلى تعضيد المذهب السني وتقويته في وجه الدعاية الشيعية الفاطمية والبويهية، وإيجاد طبقة من العلماء والإداريين السّنة ليشغلوا مناصب الدولة ووظائفها[41]، ويعزو ابن خلدون توسع الأيوبيين والمماليك في إنشاء المدارس ووقف الأوقاف عليها إلى

سببين: الأول هو خوفهم من مصادرة السلطان لأموالهم وبالتالي تعريض من يتركون وراءهم من الذرية للفقر والحاجة، والثاني هو التماس الأجر والثواب[42].

ومن بين العوامل التي ساعدت على كثرة المدارس في الشام وانتشارها، إقبال الميسورين من الأهالي على بنائها تقربا لله وطلبا للأجر والثواب[43]، فكان "أهل دمشق يتنافسون في عمارة الزوايا والمساجد والمدارس"[44].

تخطيطها:

اختار المسلمون أجمل الأماكن المشرفة على الأنهار والمتنزهات لمواقع المدارس، لأن مناظرها الجميلة تبعث في نفس الطالب الرغبة في الدراسة والبحث، يتضح ذلك من وصف البدري لموقع المدرسة الخاتونية في حي المنيع بدمشق:" وهي من أعاجيب الدهر يمر بصحنها نهر بانياس، ونهر القنوات على بابها، ولها شبابيك تطل على المرجة، وبها ألواح الرخام لم يسمح الزمان بنظيرها"[45]، ويذكر أيضا أنه كان بمتنزه الجبهة في دمشق مدرستان، ويصف هذا المتنزه بأنه:" أرض مربعة قدر فدانين، عليها سقائف تظلها من غير طين بين شجر الصفصاف والجوز والحور، وكل فرش حصير تحيط به جداول الماء من أربع جهاته، مع البرك والبحيرات بالنوافر، وهي على جانب نهر بردى وبه النواعير" [46]، ومر ابن جبير في أثناء رحلته سنة 580هـ بأطلال مدرسة معطلة بمدينة رأس العين في الجزيرة الفراتية فوصف موقعها بقوله: "ما أرى أنه كان في موضوعات الدنيا مثل موضوع هذه المدرسة، لأنها في جزيرة خضراء والنهر يستدير بها من ثلاثة جوانب، والمدخل إليها من جانب واحد، وأمامها ووراءها بستان، وبإزائها دولاب يلقى الماء إلى بساتين مرتفعة عند مصب النهر، وشأن هذا الموضوع كله عجيب جدا، فغاية حسن القرى بشرقي الأندلس أن يكون لها مثل هذا الموضع جمالاً"[47].

وقد أشار البدري إلى أثر الموقع الجميل للمدرسة بدمشق في تنشيط ذهن الطالب وشحذ همته للدراسة بقوله: " فيجلس الطالب في شباكها ينظر إلى الماء والخضرة والوجه الحسن، فكيف لا ينبعث إلى طلب العلم، ويتحرك من فهمه ما سكن؟ "[48].

وبعد اختيار الموقع المناسب للمدرسة يجري التفنن في هندسة البناء وزخرفته وتزويقه، بحيث تكون المدرسة تحفه معمارية، والأمثلة التالية تؤكد ذلك؛ وصف ابن جبير المدرسة الواقعة إلى جانب الجامع المكرم بحلب سنة 580 هـ قائلا: "ويتصل بالجامع من الجانب الغربي مدرسة للحنفية تناسب الجامع حسنا وإتقان صنعه، فهما في الحسن روضة تجاور أخرى، وهذه المدرسة من أحفل ما شاهدناه من المدارس بناءً وغرابة صنعة، ومن أظرف ما يلحظ فيها أن جدارها القبلي مفتّح كله بيوتا وغرفا، ولها طيقان يتصل بعضها ببعض، وقد امتد بطول الجدار عريش كرم مثمر عنبا، فحصل لكل طاق من تلك الطيقان قسطا من ذلك العنب متدليا أمامها، فيمد الساكن فيها يده ويجتنيه متكئا دون كلل ولا مشقة"[49]. وزار مدرسة نور الدين في العام نفسه فوصفها بأنها: "من أحسن مدارس الدنيا منظرا مدرسة نور الدين، رحمه الله، وبها قبره نوره الله، وهي قصر من القصور، ينصب فيها الماء من شاذروان وسط الدار، فتحار الأبصار في حسن المنظر، فكل من يبصره يجدد الدعاء لنور الدين رحمه الله"[50]. ومن آيات الفن المعماري في دمشق، المدرسة الكججانية، فقد ذكر البدري: "أن بمدرسة الكججانية قبة بها طاقات بعدد أيام السنة، والشمس دائرة على تلك الطيقان ولا تدخل إليها، وهذا من حسن الهندسة".[51]

ويشيد النعيمي بالتصميم المعماري للعديد من المدارس الدمشقية مثل المدرسة الأسعدرية التي وصفها بأنها :"من أحسن عمائر دمشق"[52]، والمدرسة الأتابكية في دمشق بأنها:" قلّ أن يوجد مثلها في الحسن"[53]، والمدرسة الشامية البرانية بأنها" من أكبر المدارس وأعظمها" [54].

وتشتمل المدرسة في العادة على قاعات للتدريس تسمى الواحدة منها إيواناً، "والإيوان: وهو الاسم الذي يرادف "قاعة المحاضرات" في التعبير الحديث، وما كانت مدرسة تخلو منه، فهو أبرز مرافقها وأهمها"[55]، وكان الطبيب أبا المجد محمد بن عبيد الله الباهلي "ت: 570 هـ" يلقي محاضراته في الطب على طلابه في الإيوان الكبير التابع للبيمارستان النوري[56]، وكان بالمدرسة العمرية الشيخية بدمشق سبع قاعات لتدريس القرآن الكريم فقط[57].

واشتملت بعض المدارس على سكن للطلاب، فقد ضمت المدرسة الخاتونية "عدة خلاوي لطلاب"[58]، وكان بالمدرسة العمرية الحنبلية بدمشق عشر خلاوي عند تأسيسها[59]، ثم ارتفع هذا العدد بسبب ازدياد أوقافها وتوسعها، إلى أن وصل إلى 360 خلوة[60]، وكان بالمدرسة البادرائية سكن للطلاب اشترط فيه الواقف أن يكون الطالب عازبا [61].

واشتملت معظم مدارس الشام على سكن للمدرسين، ذكر النعيمي أن المدرس رضي الدين إبراهيم المنطقي "ت: 732 هـ" "توفي بسكنه بالمدرسة النورية بدمشق"[62]، وتوفي المدّرس شرف الدين أبو محمد ابن حسن الشافعي بسكنه في المدرسة الأكزية بدمشق[63]، وتوفي المدرس المعروف ببدر الدين بن قاضي أذرعات "بسكنه بأعلى المدرسة الخبيصية"[64]

وفي كل مدرسة مسجد خاص بها يتناسب مع حجمها فيذكر أن واقف المدرسة، الحلبية في دمشق "وقف إلى جانب المدرسة مسجدا وأضافه إلى المدرسة المذكورة"[65]، وكان مسجد المدرسة المعظمية بدمشق من السعة بحيث تقام فيه صلوات الجمع. [66] وتشهد بذلك أيضا، كتب الوقف التي عين فيها الواقفون الموظفين في مدارسهم، ومن بينهم المؤذن والإمام[67].

ولكل مدرسة مكتبة خاصة بها تتناسب مع حجمها وسعة أوقافها، فمثلا واقف المدرسة البادرائية في دمشق "جعل بها خزانة كتب نافعة"[68]. وواقف المدرسة البهنسية "جعل كتبه وقفاً "[69]، وضم البيمارستان النوري خزانتين من الكتب الطبية[70].

وكان لأكثر المدارس تربة خاصة بها يدفن بها واقفها في العادة، ومن يتوفى من المدرسين والطلاب أحيانا، فمثلا المدرسة البهنسية بدمشق" كان لها تربة دفن بها واقفها"[71]، والمدرسة الركنية البرانية عمل واقفها عندها تربة[72]، وباني المدرسة القجماسية "دفن بالتربة التي أنشأها في المدرسة المذكورة"[73]، ودفنت عذراء بنت أخي صلاح الدين بتربة المدرسة العذراوية التي أنشأتها[74].

واشتملت بعض المدارس على جناح خاص لإيواء الفقراء مجانا، كما هو الحال في المدرسة الأمينية بدمشق، فقد نص كتاب وقفها على "أن القيسيارية التي إلى جانب المدرسة لا يحل كراؤها، ويجب أن يسكنها الفقراء بغير أجرة"[75].

المبحث الثاني: المناهج الدراسية وأيام الدوام والشهادات:

المناهج الدراسية:

كان لكل مذهب من المذاهب الفقهية الأربعة: الشافعي والحنفي والمالكي والحنبلي مدارسه التي كانت تدرس إلى جانب فقه المذهب الحديث واللغة والأدب والنحو والمنطق، والتفسير وأصول الدين، يستدل على ذلك مما ذكره ابن جماعة إذ يقول أن على المدرس أن يبدأ بالتفسير، ثم الحديث عن أصول الدين، ثم أصول الفقه ثم المذهب، ثم الخلاف والنحو أو المنطق، ويختتم الدوام بدرس في الزهد والرقائق، في بعض الأحيان.[76]

ومن بين المواد التي كانت تدرس بالمدرسة الأمجدية الشافعية بدمشق الفقه والحديث[77]، ومن المواد التي كانت تدرس في المدرسة الإقبالية الفقه والأصول والنحو[78]، وذكر الفخر المصري "المتوفي سنة 751هـ" أنه جاء إلى دمشق وهو صغير فدرس في مدارسها الحديث والأصول والفقه والمنطق والنحو وأنه عمل مدرّساً في المدرسة الدلوعية دمشق بعد تخرجه[79]، التي كانت تدرس الفقه والقرآن، والنحو، والمنطق والحساب[80]، وكذلك بدر الدين بن قاضي أذرعات (ت: 814هـ) "اشتغل بالنحو على شرف الدين الإنطاكي حتى فضل في ذلك، وأخذ الفقه على نجم الدين بن الجابي، وشرف الدين الشريشي، واشتغل مع الفقهاء، أي فقهاء البادرائية" [81]، ودرّست بعض المدارس إلى جانب علوم اللغة والشريعة الطب والهندسة، فكانت المدرسة الجاروخية تدرس الطب إلى جانب الفقه الشافعي[82].

وذكرت الدراسات الحديثة أن برنامج الدراسة في المدارس آنذاك اشتمل على مواد أساسية هي العلوم الدينية والعقلية، وعلوم فرعية هي الحساب والتاريخ والأدب[83]، وأن التعليم في المدارس لم يكن مقتصرا على الفقه، بل كان يدرس فيها مختلف العلوم والمعارف والآداب كالحديث والطب والحساب[84]، وأن بعض هذه المدارس كانت تدرس الفلك والجغرافيا أيضاً[85]، ويدل على ذلك ما ذكره النعيمي أن الطبيب المعروف بأبي المجد بن أبي الحكم الباهلي (ت: 570هـ) " له يد طولى في الهندسة والنجوم "[86].

وذكر النعيمي أسماء ثلاث مدارس متخصصة، في تدريس الطب في دمشق، وهي المدرسة الدخوارية[87]، والمدرسة الدنيسرية[88]، والمدرسة اللبودية النجمية[89]، وأن الطبيب محمد بن عبد الله الباهلي المعروف بأبي المجد بن أبي الحكم " قرأ على والده الطب"[90]، وعمل بعد تخرجه مدرساً في المدرسة اللبودية والبيمارستان النوري، فكان جماعة من الأطباء والمشتغلين بالطب يأتون إليه ويجلسون بين يديه، ثم تجري مباحث طبية، وتقرأ التلاميذ، ولا يزال معهم في مباحث واشتغال ونظر في الكتب بمقدار ثلاث ساعات، ثم يركب بعد ذلك إلى داره في دمشق[91]، ويفهم من رواية النعيمي أن مدة المحاضرة الطبية التي كان يلقيها ذلك الطبيب ثلاث ساعات، وأنها لم تكن مجرد تلقين بل هي بحث وتجريب، ولعل إعطاء الدرس في المستشفى يُشعر بأن قسماً منه كان عملياً، وأنه كان يزور المرضى في البيمارستان النوري ويتفقد أحوالهم الصحية، " وبين يديه المشرفون والخدام للمرضى، وكل ما يكتبه للمرضى لا يؤخر عنهم"[92].

ويروى أن الطبيب جمال الدين الدمشقي "ت: 694هـ" المدرس بالدخوارية " عاد المرضى بالبيمارستان النوري على قاعدة الأطباء "[93]، ومن أشهر أطباء المدرسة الدخوارية الطبيب أمين الدين سليمان بن داود " رئيس الأطباء بدمشق ومدرسهم مدة "[94]، ولبعضهم مصنفات في الطب، مثل مهذب الدين الدخوار "ت: 628هـ" مؤسس المدرسة الدخوارية الذي "انتهت إليه صناعة الطب وصنف فيه التصانيف"[95]، وعز الدين السويدي المدرس بالدخوارية الذي ألّف كتباً في الطب منها "الباهر في الجواهر، والتذكرة في الطب"[96]، وكان في دمشق إلى جانب المدارس الفقهية والطبية مدارس للكحالة والصيدلة، ومدرسة للهندسة يتخرج فيها مهندسون وبناؤون[97].

ويبدأ برنامج التدريس اليومي في المدرسة بدرس في التفسير ثم الحديث، ثم أصول الدين، ثم أصول الفقه، ثم المذاهب أو الخلاف أو النحو أو الجدل، واختتم بعض المدرسين الزهاد دروسهم بدرس في الرقائق والزهد"[98]، أما ساعات الدوام اليومي في المدرسة فتبدأ في العادة بعد طلوع الشمس وتستمر حتى الظهر، فقد" أفتى بعض كبار العلماء، أن المدرس إذا ذكر الدرس في مدرسة قبل طلوع الشمس، أو أخّره إلى ما بعد

الظهر لم يستحق معلوم التدريس ... لمخالفته العرف المعتاد في ذلك"[99]، وتحدد مواعيد الدروس خلال الدوام اليومي تبعاً لمصلحة الطلبة، " وينبغي مراعاة مصلحة الجماعة في تقديم وقت الحضور وتأخيره إذا لم يكن عليه {المدرس} فيه ضرر ولا مزيد كلفة"[100].

أما مدة الدرس فيجب أن لا تكون طويلة مملة ولا قصيرة مخلة كما يقول ابن جماعة " ويراعى في مدة الدرس مصلحة الحاضرين وفائدتهم، فلا يطيله إطالة مملة ولا يقصره تقصيرا مخلا "[101]، وإذا قدّرنا المدة التي حدّدها للدوام اليومي، من طلوع الشمس إلى الظهر، بست ساعات، ووزعناها على برنامج الدروس اليومي الذي ذكره ويتضمن ستة دروس يوميا، فإن مدة الدرس لا تزيد عن ساعة واحدة، هذا في العلوم الإنسانية والدينية، أما في العلوم التطبيقية فكانت مدة الدرس الذي يلقيه الطبيب أبو المجد بن أبي الحكم الباهلي "ت: 570هـ" في البيمارستان النوري ثلاث ساعات[102].

واشتمل نظام الدوام المدرسي في الشام على عطل أسبوعية وسنوية، فكانت العطلة الأسبوعية يومي الثلاثاء والجمعة، وقد تلغى بقرار من ناظر المدرسة، فقد ألغى ناظر المدرسة الأمينية، علاء الدين ابن الزملكاني "ت: 690هـ" العطلة الأسبوعية "يومي الثلاثاء والجمعة" في مدرسته " اقتضى رأيه ونظره أن الدرس يذكر كل يوم حتى يوم الجمعة والثلاثاء ... وهذا من العجائب التي لم تعهد، ولم يعترض عليه أحد[103]، ومن بين إجراءات هذا الناظر تقصير عطلة العيد فجعلها تنتهي بعد العيد بثلاثة أيام، ويبدو أنها كانت أطول من ذلك لأن النعيمي يجد هذا الإجراء من العجائب التي لم تعهد، أنه " ذكر الدرس بعد العيد بثلاثة أيام"[104].

وهناك عطل طارئة تفرضها ظروف البلد وأحواله الاقتصادية والمناخية، ففي سنة 829هـ تعرضت الشام لجدب شديد فتعطلت المدارس، وأراد القاضي نجم الدين بن حجي بدء الدوام بالمدرسة الشامية البرانية بعد عودة الحجاج من موسم الحج، فاحتج عليه الواقف والفقهاء لأنه لا يوجد شيء في المدرسة بسبب الجدب[105]، كما أن هطول الأمطار والثلوج بغزارة عام 830هـ حال دون حصول دوام في بعض مدارس الشام حتى 19 ربيع الأول من العام نفسه، فيذكر النعيمي أن القاضي نجم الدين بن حجي "لم يتفق له

الحضور إلا في هذا اليوم لتوالي الأمطار والثلوج"[106]، ويتحدث النعيمي عن دوام المدارس في الشام عام 830هـ فيقول:" وكان الحضور في هذه السنة قليلا بسبب قلة الجوامك في المدارس بهذه السنة بسبب الإجاحات الواقعة في المغْل من العام الماضي وأكثرها لم يفرَّق فيها شيء"[107]، ويضيف قائلا:" وغالب مدارس دمشق لم يحضر بها أحد في هذه السنة، فلا حول ولا قوة إلا بالله"[108].

مدة الدراسة والشهادات:

وتختلف المدة التي على الطالب قضاؤها في الدراسة حتى يتخرج ويحصل على إجازة من المدرسة التي يدرس فيها، باختلاف الأمصار الإسلامية واختلاف أساليب التعاليم فيها،، كما يفهم من قول ابن خلدون:"يشهد بذلك في المغرب أن المدة المعينة لسكنى طلبة العلم بالمدارس عندهم ست عشرة سنة، وهي بتونس خمس سنين، وهذه المدة بالمدارس على المتعارف عليه، هي أقل ما يتأتى فيها لطالب العلم حصول مبتغاه من الملكة العلمية، أو اليأس من تحصيلها"[109]. ويعزو طول مدة الدراسة في المغرب إلى تخلف أساليب التعليم هناك[110]، وربما احتاجت التخصصات العلمية كالطب والهندسة لفترة أطول من العلوم الدينية والاجتماعية، لأنها تحتاج إلى التجربة والخبرة والمراس.

ويجرى للطالب امتحان في المواد التي أتم دراستها والإحاطة بها يحضره كبار العلماء في المدرسة، ذكر النعيمي أن بدر الدين الشريشي "724-770هـ" " برع في علوم الفقه واللغة والغريب ونظم الشعر، وكان يستحضر الفائق للزمخشري، والصحاح للجوهري، والجمهرة، والنهاية، وغريب أبي عبيد، والمنتهى في اللغة للبرمكي، وهو أكثر من ثلاثين مجلداً "، وأنه امتحن في هذه المواد سنة 763هـ وسمح له بتدريسها:"وعقد له مجلس فحضره أعيان علماء دمشق وامتحن في هذه الكتب في شعبان سنة ثلاث وستين {وسبعماية}، ودرّس بالإقبالية"[111]، وهو ما أكده محمد كرد علي أيضا الذي قال بأنه " كان لإلقاء العلوم في تلك المدارس نظم ومناهج، ويقرأ الطلبة أشهراً مخصوصه، ويفحصون فيما تعلموه، ولا ينال الإجازة بالتدريس أو الخطابة أو الإمامة إلا من تثبت لمشيخته كفاءته"[112].

والإجازة هي الشهادة التي يمنحها المدرس أو الشيخ لتلميذه، ويأذن له فيها بتدريس كتابه أو رواية الأحاديث التي أخذها عنه، وعادة ما تكون مكتوبة على الورقة الأخيرة من الكتاب الذي أجيز به الطالب مثل" أتم فلأن قراءة هذا الكتاب علي وأجزت له تدريسه"[113]، وخير مثال على منح الإجازة، والمقصود بها ما قاله أحمد بن يحيى: " دفع إليّ الزبير إجازة وكتباً بخطّه، وكذلك عبد الله بن شبيب، فقلت: إيش أقول فيها؟ فقالا: قل فيه، إن شئت حدثنا وإن شئت أخبرنا، وإن شئت كتب إليّ "[114]، وهي ضرورية لمن يريد ممارسة مهنة التدريس، حيث يشترط في العالم" أن لا ينتصب للتدريس إذا لم يكن أهلاً له، ولا يذكر الدرس من علم لا يعرفه"[115].

المبحث الثالث: العاملون والطلاب ومخصصاتهم:

العاملون:

أشرف على كل مدرسة ناظر يرعى شؤونها ويدير أمور وقفها ومدرسها وطلابها، وقد ذكر النعيمي أسماء عددٍ من نظار المدارس في دمشق منهم: تقي الدين بن قاضي شهبة ناظر المدرسة الإقبالية[116]، وجمال الدين بن سيما ناظر المدرسة الأمينية[117]، وشهاب الدين بن نقيب الأشراف ناظر المدرسة العذراوية[118]، وشرف الدين بن نقيب الأشراف ناظر المدرسة الشامية البرانية[119]، ونجم الدين النعماني ناظر المدرسة المعينية[120]، وقد عمل بعضهم ناظراً لأكثر من مدرسة في أن واحد، فمثلا صلاح الدين بن الشريجي "747-826هـ" " باشر نظر (إدارة) الشاميتين وغيرهما من أوقاف ست الشام "[121]، وجمع قسم منهم بين النظر والتدريس في المدرسة نفسها، فمثلا تولى شهاب الدين بن نقيب الأشراف، ومن بعده شمس الدين العجلوني النظر والتدريس في المدرسة العذراوية، قال شمس الدين العجلوني:"وكنت قد تلقيت تدريسها ونظرها {العذراوية} عن السيد شهاب الدين بن نقيب الأشراف"[122]، وتولى تقي الدين بن قاضي شهبة النظر والتدريس في المدرسة الإقبالية[123].

ويتولى صاحب الوقف، أو وريثه أو من يوكله، تعيين ناظر المدرسة، فقد درّس جمال الدين بن سيما في المدرسة الأمينية بدمشق " والنظر من جهة الواقف مسند إليه"[124]، وعين واقف البادرائية كمال الدين سلار بن الحسن الأربلي ناظراً لها.[125]

وإذا مات الواقف فإن ناظر المدرسة هو الذي يعين خلفه، وتعينه الدولة إذا حصل خلاف بين المدرسين على المنصب، قال تقي الدين بن قاضي شهبة: أن تاج الدين الحسباني ناظر المدرسة الإقبالية "نزل لي عن التدريس والنظر" [126]. وحصل خلاف على منصب ناظر البادرائية بعد وفاة ناظرها، فأخذها كمال الدين الشيرازي بمرسوم سلطاني "وسعى في البادرائية فأخذها وباشرها ... بتوقيع سلطاني"[127].

وصلاحيات الناظر واسعة، فقد جعل واقف المدرسة الشامية الجوانية لناظرها صلاحية زيادة عدد المدرسين إذا زاد دخل الوقف[128]، وللناظر الحق في تحديد أيام العطل الأسبوعية والسنوية[129]. وإذا أساء الناظر التصرف في أموال الوقف أو اختلسها فإنه يُعرّض نفسه لعقوبة الدولة، فعندما اتهم ناصر الدين المقدسي بسرقة أوقاف المدرسة الرواحية التي يتولى نظرها "جاء البريد بالكشف عن ناصر الدين بن محمد المقدسي، وكيل المال وناظر الخاص والأوقاف، فظهر عليه مخاز من أكل الأوقاف وغيرها، فرسم عليه بالعاذرية، وطولب بتلك الأموال وضيق عليه"[130]، وفي سنة 824هـ قبض على تاج الدين بن عبد الوهاب الأنصاري ناظر المدرسة الشامية البرانية بتهمة اختلاس أموالها " كان يطلب منه مال، قيل ألف وخمسماية دينار، وضُرِب وُعصِر، وبقي بين اثنين دايراً في البلد يتدين ويسأل فلما كمل، ضُرِب ثانيا وعُصِر، وطلب منه مبلغ آخر "[131]. وقد خربت بعض المدارس من جراء إهمال الناظر لها وسرقته لأموالها، فعندما شرع جمقمق الدودار نائب دمشق سنة 823هـ في إعادة تعمير المدرسة الكلاسية وإزالة التراب منها" طلب العامل في المدرسة المذكورة وسأله عن مالها، فقال: أخذه المدرس والناظر وبعض الفقهاء، فحسب ما أخذوه، فكان أزيد من خمسة آلاف، فرسم بأن تسترجع ويعمر بها"[132].

ويبدو أن ظاهرة سرقة أوقاف المدارس من قبل نظّارها ومدرّسيها قد تفشت في آواخر العهد المملوكي الأمر أدى إلى خراب كثير من المدارس وتناقص عددها، يفهم من ذلك من

قول البدري في سياق حديثه عن المدارس في شرقي دمشق " في كل شرف منها عدة من المدارس، ولكل واحد منها ما يكفيه من الأوقاف، استولت عليها أيدي المتشبهين بالفقهاء، فأظهروا فيها أنواع المفاسد"[133]. وعبّر محمد كرد علي عن التراجع في بناء المدارس في أواخر العهد المملوكي بقوله: "ولولا بضع مدارس أنشئت في القرن الثاني عشر في دمشق وحلب لقلنا أن تاريخ المدارس فيها انقرض بانقراض ملوك الطوائف ودخول الدولة العثمانية الديار الشامية"[134].

وفي كل مدرسة إلى جانب الناظر عدد من المدرسين تحدده حاجة المدرسة وحجم أوقافها، وشرط واقفها، فمثلا كان عدد المدرسين في المدرسة الإقبالية بدمشق خمسة وعشرين مدرساً، ذكر النعيمي أن واقفها " رتب فيها خمسة وعشرين فقيهاً لهم الجوامك الدارة في كل شهر"[135]. وشرطت زهرة خاتون واقفة المدرسة العادلية الصغرى أن يكون بها " مدرّسا - ناظراً- وعشرين فقيها"[136]، وشرط شرف الدين بن عصرون "ت: 585هـ" واقف المدرسة العصرونية" أن لا يزيد عدد فقهائها على العشرين فقيهاً"[137]. أما المدارس الصغيرة فإن مجموع مدرسيها وطلابها والعاملين فيها لم يتجاوز هذا الرقم، كما هو الحال في المدرسة الشامية الجوانية التي شرط واقفها "أن لا يزيد عدد الفقهاء والمتفقهة والمشتغلين بهذه المدرسة عن عشرين رجلا من جملتهم المعيد والإمام، وذلك خارج عن المدرس والقيم، إلا أن يوجد في ارتفاع الوقف نماء وسعه، فللناظر أن يقيم بقدر ما زاد ونما"[138].

وكان الواقف يعين المدرسين، فمثلا عين واقف البادرائية في دمشق كمال الدين الاربلي مدرسا فيها[139]، وتعينه الدولة إذا كان الواقف أحد رجالاتها، فمثلا عين الملك الناصر العالم بهاء الدين بن إمام المشهد "ت: 752هـ" مدرسا في المدرسة الأمينية، حيث توجه المذكور إلى مصر "وحضر بين يدي السلطان الملك الناصر على الأهرام، وولاه مدرسة الأمينية بدمشق وحضر إليها على البريد"[140]. وذكر النعيمي أنه في يوم الاثنين الموافق ذي الحجة من سنة 731هـ "وصل الخبر بتولية القاضي جلال الدين بن القلانسي مناصب أخيه، وهي تدريس الأمينية والظاهرية والعصرونية"[141].

وللمدرّس الحق في التدريس في أكثر من مدرسة إذا لم يشترط الواقف خلاف ذلك والأمثلة التالية تؤيد ذلك: كان ابن خلكان يقوم بالتدريس في سبع مدارس هي: "العادلية، والناصرية، والعذراوية، والفلكية، والركنية، والإقبالية والبهنسية"[142]. وتولى ابن القيسراني سنة 731هـ التدريس في ثلاث مدارس هي: الأمينية والظاهرية والعصرونية[143].

واشترط الواقف أحيانا على المدرس في مدرسته أن لا يدرّس في غيرها، فقد اشترطت عزيزة الدين خاتون واقفة المدرسة المارداني "على مدرسها أن لا يكون مدرسا في غيرها"[144]. والمدرسة الشامية البرانية "شرط واقفها أن لا يجمع المدرس بينها وبين غيرها"[145]. وتوفي مدرس الشامية البرانية شمس الدين بن محمد المقدسي وحل محله أخوه شرف الدين بن محمد المقدسي الذي كان يدرس في مدرستي العادلية والرواحية "أخذت منه العادلية والرواحية، وإنما أخذتا منه لأن شرط مدرس الشامية هذه أن لا يجمع المدرّس بينها وبين غيرها كما تقدم"[146].

وهناك شروطاً أخرى للواقف كان يسكن المدرس في المدرسة نفسها، كما هو الحال في المدرسة الركنية البرانية في دمشق التي اشترط واقفها على المدرّس السكن بها"[147]، وأن لا يكون طفلا صغيرا، فعندما تنازل قاضي الشافعية في دمشق نجم الدين بن حجي سنة 831هـ لابنه الصغير عن تدريس الشامية البرانية" عجب الناس من ذلك واستضعفوا رأيه فإنه لم يبق من مناصب أهل العلم لم يتغير إلا تدريس هذه المدرسة ومنذ بنيت إلى الآن لم يتولاها صغير، فلا حول ولا قوة ألا بالله" [148]، وقد يشترط الواقف في بعض الأحيان أن يكون المدرّس من ذريته، كما هو الحال في المدرسة العصرونية، التي شرط واقفها " أن التدريس لذريته ويستناب عن غير المتأهل"[149] منهم للتدريس، وهذا يشير بوضوح إلى أن المدرس يجب أن يكون مؤهلا للتدريس.

وأهم الشروط التي تراعى في المدرس هي كفاءته ومقدرته العلمية، حيث "لا ينتصب للتدريس إذا لم يكن أهلا له، ولا يذكر الدرس في علم لا يعرفه "[150]، وأن يتحلى المدرّس بالتواضع والدقة العلمية والاعتراف بعدم معرفته للإجابة إذا عجز عنها بقوله: " لا أعلم، لا أدري "، وأن هذا لا يحطّ من قدره أو مكانته العلمية[151]. ويلاحظ ذلك أيضاً من خلال

إشادة النعيمي بمقدرة وكفاءة جمال الدين بن الحاجب "ت: 646هـ" المدرس بالزاوية المالكية " كان رأسا في علوم كثيرة منها: الأصول والفروع، والعربية والنحو والتصريف والعروض والتفسير وغير ذلك"[152]، وشمس الدين بن عبد الهادي "ت: 744هـ" المدرس بالمدرسة الحنبلية بدمشق" الذي كان رأسا في القراءات والحديث والفقه والتفسير والأصول والعربية"[153].

ويراعى كذلك تعامله مع الطلبة ومقدرته في توصيل المعلومات لهم، فقد أشاد النعيمي بعدد من المدرسين في دمشق لتواضعهم وحسن تعاملهم مع الطلبة وقدرتهم على توصيل المعلومات لهم بشكل جيد، منهم شهاب الدين بن أحمد بن الحباب "ت: 800هـ" لأنه كان فيه إحسان إلى الطلبة ويساعدهم"[154]، وتاج الدين محمد بن عبد السلام المعروف بابن عصرون "ت: 696هـ" المدرس بالمدرسة الشامية الجوانية لأنه " كان خيراً متواضعاً حسن الإيراد للدرس"[155].

وكان بعض المدرسين في مدارس الشام من مشاهير العلماء في عصرهم مثل العماد الكاتب الأصفهاني "ت: 597هـ" صاحب كتابي "الفتح القسي" و "البرق الشامي"، الذي عمل مدرّساً بالمدرسة العمادية[156]، والعلاّمة أبو عمر تقي الدين بن صلاح الشهرزوري الذي حضر الملك الصالح درسا له في المدرسة الشامية الجوانية سنة 628هـ [157]، وسبط بن الجوزي "ت: 654هـ" صاحب كتاب" مرآة الزمان" الذي يقع في عشرين مجلداً، والذي عمل مدرسا بالمدرسة البدرية في دمشق[158]، وابن خلكان "ت: 681هـ" صاحب كتاب " وفيات الأعيان " الذي كان يتولى منصب قاضي القضاة والأوقاف، ويدرّس في سبع مدارس في دمشق[159].

وإلى جانب الناظر والمدرسين كان في كل مدرسة معيد أو أكثر حسب حجمها وعدد طلابها، فمثلا كان في المدرسة العادلية الصغرى بدمشق معيد واحد[160]، وفي المدرسة البادرائية معيدان[161]، وفي المدرسة الشامية البرانية عدة معيدين: "ولي إعادة هذه المدرسة جماعات"[162]، ويسمى النعيمي بعض هؤلاء المعيدين، فيذكر أن أبا عبد الله بن محمد المقدسي، وعلاء الدين المقدسي عملا معاً معيدين في المدرسة البادرائية[163]، وأنه ولي

الإعادة في المدرسة الشامية البرانية عدة معيدين منهم: كمال الدين المنفلوطي وشهاب الدين ابن حجي، وشهاب الدين بن نشوان الحواري[164].

وقد يعمل المعيد في أكثر من مدرسة، ذكر النعيمي أن أمين الدين سالم "ت: 726هـ" " أعاد بعدة مدارس"[165]، وأن بدر الدين محمد أحمد بن مكتوم "ت: 797هـ": " أعاد بالعادلية والناصرية "[166] بدمشق أيضاً.

ويبدو أن مهمة المعيد كانت مساعدة المدرس في إلقاء دروسه، واعطائها عنه إذا غاب، فيروى أن الإمام جمال الدين بن قاضي الزبداني "ت: 776هـ" " أعاد بالمدرسة الشامية ودرّس بها نيابة عن غيره مدة"[167].

وإلى جانب أعضاء الهيئة التدريسية، يوجد في كل مدرسة قيمّ ومؤذن وإمام وبواب، ذكر النعيمي أن واقفة العادلية الصغرى زهرة خاتون الأيوبية " شرطت للمدرسة: مدرساً ومعيداً ومؤذناً وإماماً وبواباً وقيّماً"[168]، وكان بالمدرسة الشامية الجوانية أيضاً مؤذن وقيّم[169]، ويتولى القيّم تنظيف المدرسة وإنارتها، فكان وقف المدرسة الشامية الجوانية يصرف على العاملين فيها ومنهم" القيم المعَدّ لكنسها ورشها وفرشها وتنظيفها وإيقاد مصابيحها"[170]، ويبدو أن مهمة البواب هي حراسة المدرسة من السرقة والاعتداء والعبث بمحتوياتها.

الطلاب : أعدادهم والشروط الواجب توافرها فيهم

كان في كل مدرسة عدد من الطلاب يتناسب مع سعة بنائها وعدد مدرسيها وحجم أوقافها، يفهم ذلك من وصف النعيمي للمدرسة الشامية البرانية في دمشق بأنها كانت " من أكبر المدارس وأعظمها وأكثرها فقهاء وأكثرها أوقافاً"[171]، فالمدارس الصغيرة كالمدرسة الشامية الجوانية في دمشق التي لم يزد عدد طلابها وموظفيها عن عشرين شخصاً[172]، أما المدارس الكبيرة فيتوقع أن يصل عدد طلابها إلى أضعاف هذا الرقم، فمثلا كان عدد طلاب المدرسة النورية بدمشق ستين طالبا[173]، وكان عدد المدرسين في الإقبالية خمسة وعشرين فقيها[174]، وعدد المدرسين في العصرونية عشرين فقيها[175].

ووصل عدد الطلاب في أكبر مدارس دمشق وهي المدرسة العمرية الشيخية الحنبلية إلى عدة مئات، يستدل على ذلك من عدد الخلاوي "الغرف" المخصصة للطلاب البالغ " ثلاثمائة وستين خلوة"[176]، ومن المدارس الكبيرة الأخرى في دمشق المدرسة الخاتونية البرانية الشافعية، وهي" من اكبر مدارسهم وأجودها معلوماً"[177]، والمدرسة البادرائية التي يصفها النعيمي بأنها" المدرسة الكبيرة المشهورة"[178].

أما الشروط الواجب توافرها في الطالب حتى يتم قبوله في المدرسة فتختلف من مدرسة إلى أخرى تبعا لشروط الواقف، منها أن واقف الشامية الجوانية شرط على من ينتسب إلى مدرسته، " أن يكونوا من أهل الخير والصلاح والعفاف وحسن الطريقة وسلامة الاعتقاد، والسنة والجماعة"[179]، وشرط واقف البادرائية على المقيم بها من الطلاب العزوبية وذلك من أجل التّفرغ لطلب العلم[180]، وقد عدهاّ ابن جماعة من الآداب المستحبة في المتعلم، فقال: "ويستحب للطالب أن يكون عازبا إن أمكنه لئلا يقطعه الاشتغال بحقوق الزوجية وطلب المعيشة عن إكمال الطلب"[181].

وعدد ابن جماعة الآداب التي على الطالب مراعاتها والتحلي بها في أثناء دراسته منها: طهارة القلب والثوب، وإخلاص النية في طلب العلم والتفرغ لطلبه، والاكتفاء باليسير من الطعام واللباس، لأن كثرة الأكل جالبة للنوم والبلادة وقصور الذهن، وأن يتحرّى الحلال في جميع شؤونه، في طعامه وشرابه ولباسه ومسكنه، ليستنير قلبه ويتفتح لطلب العلم، وأن يقلل من النوم، بحيث لا تزيد مدة نومه في اليوم عن ثماني ساعات، وأن يريح بصره ويشحذ ذهنه بالنزهة في المتنزهات الخضراء الجميلة، وأن يحسن اختيار رفاقه بحيث يكونوا من الأذكياء والصالحين الذين يساعدونه عل تحقيق هدفه، وأن يحسن اختيار شيخه ويطيعه، وأن يتقيد بشروط الواقف في المدرسة التي يدرس فيها[182].

الرواتب والمخصصات العينية

اعتمدت المدارس في دفع نفقات التعليم فيها على ريع الوقف الذي يرصده الواقف لها والذي قد يكون أرضا زراعية، أو سوقا تجارية، أو مباني سكنية، فقد ذكر ابن جبير في أثناء زيارته لدمشق سنة 580هـ " أن البلدة تكاد الأوقاف تستغرق جميع ما فيها وكل مسجد يستحدث بناؤه أو مدرسة، يعين لها السلطان، أوقافاً تقوم بها وبساكنيها والملتزمين لها، وهذه أيضا من المفاخر المخلدة، ومن النساء الخواتين ذوات الأقدار من تأمر ببناء مسجد أو رباط أو مدرسة وتنفق فيها الأموال الواسعة، وتعين لها من مالها الأوقاف، ومن الأمراء من يفعل ذلك "[183]، ومن أمثلة ذلك أن باني المدرسة الإقبالية أوقف عليها مزارع وضياع[184]، وأن باني المدرسة الأمينية بدمشق أيضاً " وقف عليها غالب ما حولها من سوق السلاح وقيسارية القواسين "، ولها حصة في بستان الخشّاب بكفر سوسيا[185]، وكان للمدرسة العمرية الشيخية بدمشق أوقافً كثيرة من جملتها "العشر من البقاع، والمرتب على داريا من القمح ستون غراره، ومن الدراهم خمسة آلاف " درهم[186].

ويحدد الواقف في العادة أوجه صرف الوقف على المدرسة من رواتب وأثاث، وطعام للمقيمين بها ... الخ، فقد أوصى واقف المدرسة الشامية الجوانية بصرف الوقف المخصص لها " على المدرّس بها ... والمؤذن والقيّم المعد لكنسها وفرشها وتنظيفها وإيقاد مصابيحها، يبدأ من ذلك بعمارة المدرسة من ثمن زيت ومصابيح وحصر وبسط وقناديل وشمع، وما تدعو إليه الحاجة، وما فضل كان مصروفا إلى المدرس الشافعي والفقهاء والمتفقهة وإلى المؤذن والقيم"[187].

وكان المدرسون يتلقون رواتب نقدية شهرية ومواد عينية تشتمل على الطعام اليومي والحلوى والفواكه في المناسبات والأعياد، فيذكر أن واقف المدرسة الإقبالية بدمشق " رتب فيها خمسة وعشرين فقيها لهم الجوامك {الرواتب} الدارة في كل شهر والطعام في كل يوم والحلوى في أوقات المواسم والفواكه في زمانها"[188].

فكان راتب الشيخ رضي الدين الغزي الشافعي الذي عمل سنة 847 هـ مدرسا بالمدرسة الكلاسية في دمشق مائة وخمسون درهما في كل شهر[189]، وكان راتب المدرس المدرسة

الشامية الجوانية في كل شهر "من الحنطة غرارة ومن الشعير غرارة، ومن الفضة مائة وثلاثون درهما فضة ناصرية "[190]، وعين قاضي القضاة في دمشق الشيخ زين الدين خطاب العجلوني "ت: 847هـ" مدرسا في المدرسة العمرية الشيخية الحنبلية في دمشق وجعل له مائة وخمسين درهما في الشهر، ولكن ناظر الوقف رفض دفع مثل هذا الراتب وخفضه إلى تسعين درهما[191]، ولعل ذلك يعود إلى فرض القاضي مدرسا شافعيا على مدرسة حنبلية، فضايقه متولي الوقف الحنبلي بخفض راتبه.

ويلاحظ مما مر أن راتب المدرّس في مدارس دمشق تراوح ما بين 90-150 درهما في الشهر إضافة إلى المخصصات العينية، حيث دفعت المدارس ذات الأوقاف الكثيرة رواتب أعلى، ويدل على ذلك أيضا ما ذكره النعيمي عن المدرسة الخاتونية البرانية أيضاً" من كبار مدارسهم وأجودها معلوما"[192]، في حين لم يكن راتب المدرّس في المدارس الصغيرة يكفي لسد حاجته ونفقات أسرته، فقد كان شمس الدين الصرخدي "ت: 792هـ" مدرسا بالمدرسة التقوية " وكان فقيرا وله عائلة"[193].

وتلقى سائر الموظفين في المدرسة كالقيم والمؤذن والبواب رواتب شهرية كان يقدرها الناظر في الوقف تبعا لنوع الوظيفة ومقدرة المدرسة على الدفع، فقد كان وقف المدرسة الشامية الجوانية يدفع منه راتب المدرس والمصروفات اليومية الأخرى للمدرسة "والباقي مصروف إلى الفقهاء والمتفقهة والمؤذن والقيم على قدر استحقاقهم على ما يراه الناظر في أمر هذا الوقف من تسوية وتفضيل ونقصان وعطاء وحرمان"[194].

وقدّمت المدرسة إلى جانب الرواتب للعاملين فيها والطلاب، خدمات اجتماعية لنزلائها من المدرسين والطلاب والفقراء فعندما أسس صلاح الدين المدرسة الصلاحية سنة 583هـ " أجرى على بعض الفقراء والقراء والفقهاء الجامكيات والجرايات"[195]، وكان في بعض المدارس قسم خاص لإيواء الفقراء مجانا، فمثلا ورد في كتاب وقف المدرسة الأمينية بدمشق " أن القيسارية التي إلى جانب المدرسة لا يحل إكراؤها (تأجيرها)، ويجب أن يسكنها الفقراء بغير أجرة "[196]، ولدينا صورة مفصلة عن الخدمات التي كانت تقدمها المدرسة العمرية الشيخية الحنبلية في دمشق للمقيمين فيها من مدرسين وطلاب وفقراء، والتي

عدّدها أحد نزلائها الشيخ جمال الدين عبد الهادي فقال: " ومما رأيناه وسمعنا به من مصالحها الخبز لكل واحد من المنزلين فيها رغيفان، وللشيخ الذي يقرئ الناس ثلاثة، وهو مستمر طوال السنة، والقمصان لكل منزل فيها قميص وقد رأيناه، والسراويل لكل واحد سروال سمعنا به ولم نره، وطعام شهر رمضان بلحم، وكان الشيخ عبد الرحمن ينوع لهم ذلك، ويوم الجمعة العدس، ثم انقطع التنوع، واستمرت القمحية، وزبيب وقضامة ليلة الجمعة يفرق عليهم بعد قراءة ما تيسر، رأيناه، وفراء وبشوت في كل سنة من وقفها أيضا، وحلاوة دهنية من وقفها سمعنا بها ولم نرها، وحصر لبيوت المجاورين مستمرة، وصابون سمعنا به ولم نره، وختان من لم يكن مختونا في كل سنة من الفقراء والأيتام النازلين فيها رأيناه ثم أنقطع، وسخانة يسخن فيها الماء في الشتاء لغسل من احتلم، وكعك سمعنا به ولم نره، ومشبك بعسل في ليلة العشرين من رمضان مستمر، وكنافة ليلة العشر الأُوَلْ من رمضان ثم نقلت إلى النصف مستمرة، وقنديل يشعل طول الليل في المقصورة للمدرسة مستمر، وحلاوة في الموسم في شهر رجب، لوزية وغيرها مستمرة في نصف شعبان، وأضحية في عيد الأضحى، وطعام في عيد الفطر: حامض ولحم وهريسة ورز وحلو مستمر إلى الآن "[197].

ويعود الفضل في تقديمها هذه الخدمات الواسعة إلى وقفها الذي كان في ازدياد مستمر حتى صار من الضخامة بمكان " وقد زاد الناس فيها ولم يزالوا يوقفون عليها من زمن {مؤسسها} إلى اليوم، قل سنة من السنين تمضي إلا ويصير إليها فيها وقف، فوقفها لا يمكن حصره"[198].

الخاتمة

يعد أهل نيسابور أول من أنشأ نظام المدارس في الإسلام، وذلك في النصف الأول من القرن الرابع الهجري، وتبعهم الوزير نظام الملك السلجوقي الذي نشرها في الأقاليم التابعة للسلاجقة. وأنشئت أول المدارس في الشام سنة 491هـ في دمشق. ثم عمل نور الدين زنكي على تعميمها في الشام في أثناء حكمه لها (541-569هـ)، وتأخر إنشاء المدارس في المناطق

الواقعة تحت الاحتلال الصليبي مثل القدس إلى أن حررت على يد صلاح الدين سنة 583هـ، وسار الأيوبيون والمماليك على نهج الزنكيين في إنشاء المدارس فارتفع عددها في الشام بشكل ملحوظ. وتم اختيار مواقع المدارس و تخطيطها على نحو يساعد على إنجاح العملية التربوية واشتملت مبانيها على قاعات للتدريس ومساكن للمدرسين والطلبة، ومكتبة ومسجد.

واشتملت المناهج الدراسية فيها على علوم الشريعة، واللغة والحساب والمنطق والطب والهندسة والفلك، وتخصصت بعض المدارس في تدريس الطب أو الفلك أو الهندسة. ومدة الدرس في العلوم الإنسانية ساعة، ومدته في العلوم التطبيقية ثلاث ساعات وكانت العطلة الأسبوعية في مدارس الشام يومي الثلاثاء والجمعة فضلا عن عطل الأعياد والعطل الطارئة الناجمة عن ظروف البلد الاقتصادية وأحواله المناخية، ومدّة الدراسة فيها خمس سنوات يمنح الطالب في نهايتها إجازة(شهادة) بتدريس المواد التي اجتازها.

وتألفت هيئة العاملين في مدارسها من الناظر والمدرسين والمعيدين والقيّم والنوّاب والإمام والمؤذن. وروعي في اختيارهم جميعاً التقوى والصلاح والكفاءة. وصرف للعاملين والطلاب أرزاق نقدية شهرية وطعام يومي. وعمل بعض ناظري المدارس ومدرسيها في أكثر من وظيفة إلا إذا اشترط الواقف خلاف ذلك. وتناسب عدد الطلاب في كل مدرسة مع سعتها وحجم أوقافها وعدد مدرسيها، وروعي في قبول الطلاب فيها أن يكونوا من أهل السنة والجماعة ويتصفون بحسن السيرة والسلوك. لكن بعض القائمين على تلك المدارس أخلّوا بشروط وظيفتهم وقاموا بسرقة أوقافها مما أدى إلى خرابها، فعاقبت الدولة من ثبتت عليه التهمه منهم بالعزل والمصادرة والتشهير.

أسهمت المدارس في تخريج طبقة من الإداريين السنة الذين شغلوا المناصب المهمة في الدولة مثل القضاء، وساعدت على ظهور العديد من الأدباء والكتاب الذين أثروا المكتبة العربية بمؤلفاتهم في مختلف حقول المعرفة. ولعب بعضها دوراً اجتماعيا مهماً، فوفر السكن للفقراء والمحتاجين وقدم لهم المساعدات المالية والعينية.

الهوامش:

1. ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد "ت: 1948"، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة: مصر)، ج1، ص: 396 (النص منه). السبكي، أبو نصر عبد الوهاب بن تقي الدين "د.ت"، طبقات الشافعية الكبرى، المطبعة الحسينية، (القاهرة: مصر)، ح3، ص: 137 (عن الذهبي).
2. السبكي، طبقات الشافعية، ج3، ص: 137، المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي "د.ت"، الخطط المقريزية، طبعة بالأوفست، مكتبة المثنى، (بغداد: العراق)،ح2، ص: 363.
3. السبكي، طبقات الشافعية، ج3، ص: 137.
4. كرد علي، محمد (1972)، خطط الشام، ط2، (بيروت: لبنان)، ح6، ص: 66، طلس، محمد اسعد (1957)، التربية والتعليم في الإسلام، دار العلم للملايين، (بيروت: لبنان)، ص: 123، الديوة جي، سعيد (1982)، التربية والتعليم في الإسلام، مطابع جامعة الموصل، (الموصل: العراق)،ص: 74، مرسي، محمد منير (1982)، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، عالم الكتب، (القاهرة: مصر)، ص: 208، عبود، عبد الغني (1985)، في التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، ط2، (بيروت: لبنان)، ص: 14.
5. محمد أسعد طلس، التربية والتعليم، ص: 123.
6. سعيد الديوة جي، التربية والتعليم، ص: 75.
7. المقدسي، محمد بن أحمد "906م"، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: دي غويه، مطبعة بريل، ليدن: ص: 44.
8. السبكي، طبقات الشافعية، ج3، ص: 137.
9. ابن الأثير، علي بن محمد بن عبد الكريم "ت: 1987"، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية (بيروت: لبنان)، ج8، ص: 481.
10. المقريزي، الخطط، ج2، ص: 363.
11. محمد اسعد طلس، التربية والتعليم، ص: 126. عبد الدايم، عبد الله (1984)، التربية عبر التاريخ، دار العلم للملايين، ط5، (بيروت: لبنان)، ص: 156.
12. المقريزي، الخطط، ص: 363.
13. عبد الغني عبود، التربية الإسلامية، ص: 114.
14. محمد كرد علي، خطط الشام، ج6، ص: 92.

15. المصدر نفسه، ح6، ص: 67.
16. المقريزي، الخطط، ص: 363. أبو شامة المقدسي، عبد الرحمن بن إسماعيل (د.ت)، الروضتين في أخبار الدوليتين، دار الجيل، (بيروت: لبنان)، ج1 ص:16
17. النعيمي، عبد القادر بن محمد بن عمر "1948"، الدارس في تاريخ المدارس، مطبعة الترقي، (دمشق: سوريا)، ج1، ص: 491، وينظر أبو شامة الروضتين، ج1 ص: 5.
18. محمد كرد علي، خطط الشام، ح6، ص: 67. المشاهرات: ما يصرف للمدرس أو الطالب شهريا من راتب نقدي ومواد عينية من وقف المدرسة التي يدرّس أو يدرس فيها.
19. المقريزي، الخطط، ج2، ص: 363.
20. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد "د.ت "، مقدمة ابن خلدون، مكتبة المثنى، (بغداد: العراق)، ص: 434. ربط: جمع رباط، وهو المكان المسبّل للأعمال الصالحة والعبادة، ويستخدم للعبادة والتدريس ونشر العلوم، ولا سيما الفقه والحديث والقرآن، وهو يشبه الخانقاه والزاوية عند الصوفية. النعويمي، الدارس، ج2، ص: 152. سعيد الديوه جي، التربية والتعليم في الإسلام، ص: 68-69
21. النعيمي، الدارس، ج1، ص: 158.
22. المصدر نفسه، ج1، ص: 257.
23. المصدر نسه، ج1، ص: 276.
24. ابن جبير، محمد بن أحمد "ت: 1959"، رحلة ابن جبير، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، (بيروت: لبنان)، ص: 248.
25. النعيمي، الدارس، ج1، ص: 27.
26. المصدر نفسه، ج1، ص: 301.
27. المصدر نفسه، ج1، ص: 373.
28. المصدر نفسه، ج1، ص: 507-508.
29. المصدر نفسه، ج1، ص: 332.
30. المصدر نفسه، ج1، ص: 333.
31. محمد كرد علي، خطط الشام، ح6، ص: 128-129.
32. المصدر نفسه، ج6، ص: 128 – 129.
33. ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص: 221.
34. المصدر نفسه، ص: 232.

35. المصدر نفسه، ص: 228.
36. ابن بطوطة، محمد بن عبد الله "ت: 1928م"، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المطبعة الأزهرية، (القاهرة: مصر)،ح1، ص:41.
37. المقريزي، الخطط، ج2، ص: 365.
38. النعيمي، الدارس، ج2، ص: 104.
39. ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص: 255.
40. النعيمي، الدارس، ج1، ص: 662 – 664، ج2، ص: 828 (فهرست الكتاب).
41. محمد أسعد طلس، التربية والتعليم، ص: 32. عبد الله الدايم، التربية عبر التاريخ، ص: 154
42. ابن خلدون، المقدمة، ص: 434 – 435.
43. البدري، عبد الله بن محمد "ت: 1980"، نزهة الأنام في محاسن أهل الشام، دار الرائد العربي، (بيروت: لبنان)، ص: 41.
44. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج1، ص: 63.
45. البدري، نزهة الأنام، ص: 44.
46. المصدر نفسه، ص: 45.
47. ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص: 218.
48. البدري، نزهة الأنام، ص: 41.
49. ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص: 227 – 228. طيقان: جمع طاق، وهي كلمة فارسية معربة تعني العقد الذي يعقد بالآجر، ابن منظر، لسان العرب، ج10 ص: 322، الخفاجي، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، ص: 205.
50. المصدر نفسه، ص: 256.
51. البدري، نزهة الأنام، ص: 41.
52. النعيمي، الدارس، ص: 151.
53. المصدر نفسه، ص: 130.
54. المصدر نفسه، ص: 227.
55. شلبي، أحمد (1954)، تاريخ التربية الإسلامية، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، (القاهرة: مصر)، ص: 114.
56. النعيمي، الدارس، ج2، ص: 138.

57. المصدر نفسه، ص: 109.

58. البدري، نزهة الأنام، ص: 44. خلاوي: جمع خلوة وهي غرف أو حجرات صغيرة لها مصاطب وليس لها نوافذ مخصصة لطلبة المدارس في العهدين الأيوبي والمملوكي وكان بالمدرسة العمرية الحنبلية في دمشق عدد كبير منها،

مقال المدرسة العمرية في دمشق، منديات ياسين الشام، www.yasminalsham.com 2012.4.12.

59. النعيمي، الدارس، ج2، ص: 111.

60. محمد كرد علي، خطط الشام، ج6، ص: 97

61. النعيمي، الدارس، ج2، ص: 206.

62. المصدر نفسه، ج1، ص: 574.

63. المصدر نفسه، ج1، ص: 166.

64. المصدر نفسه، ج1، ص: 235.

65. المصدر نفسه، ج1، ص: 223.

66. المصدر نفسه، ج1، ص: 586.

67. المصدر نفسه، ج1،ص: 302، 386.

68. المصدر نفسه، ج1، ص: 207.

69. المصدر نفسه، ج1، ص: 215.

70. المصدر نفسه، ج2، ص: 138.

71. المصدر نفسه، ج1، ص: 215.

72. المصدر نفسه، ج1، ص: 519.

73. المصدر نفسه، ج1، ص: 565.

74. المصدر نفسه، ج1، ص: 374.

75. المصدر نفسه، ج1، ص: 194.

76. ابن جماعة، بدر الدين بن إبراهيم "د.ت"، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، دار الكتب العلمية، (بيروت: لبنان)، ص: 35–36

77. النعيمي، الدارس، ج1، ص: 173.

78. المصدر نفسه، ج1، ص: 161.

79. المصدر نفسه، ج1، ص: 245.

80. المصدر نفسه، ج1، ص: 247.

81. المصدر نفسه، ج1، ص: 236.
82. المصدر نفسه، ج1، ص: 226.
83. مرسي، محمد منير (1983)، تاريخ التربية في الشرق والغرب، عالم الكتب، (القاهرة: مصر)، ص: 278.
84. سعيد الدبيوة جي، التربية والتعليم، ص: 85.
85. محمد كرد علي، خطط الشام، ج6، ص: 68.
86. النعيمي، الدارس، ج2، ص: 127.
87. المصدر نفسه، ج2، ص: 137.
88. المصدر نفسه، ج2، ص: 133.
89. المصدر نفسه، ج2، ص: 135.
90. المصدر نفسه، ج2، ص: 137.
91. المصدر نفسه، ص: 138.
92. المصدر نفسه، ج2، ص: 137.
93. المصدر نفسه، ج2، ص: 130 – 131.
94. المصدر نفسه، ج2، ص: 132.
95. المصدر نفسه، ج2، ص: 127.
96. المصدر نفسه، ج2، ص: 130 – 131.
97. محمد كرد علي، خطط الشام، ج6، ص: 68.
98. ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم، ص: 35 – 36.
99. المصدر نفسه، ص: 44.
100. المصدر نفسه، ص: 44.
101. المصدر نفسه، ص: 38.
102. النعيمي، الدارس، ج2، ص: 138.
103. المصدر نفسه، ج1، ص: 194.
104. المصدر نفسه، ج1، ص: 194.
105. المصدر نفسه، ج1، ص: 289.
106. المصدر نفسه، ج1، ص: 290.

107. المصدر نفسه، ج1، ص: 290. الجوامك: جمع جامكية: وهي المرتب أو الجراية الشهرية التي تعطى للمستفيد مدرساً أو طالباً، من غلة الوقف التابع للمدرسة، كأجر أو منحه. القلقشندي، صبح الأعشى ج3 ص: 524 (الهامش). ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص: 453.

108. المصدر نفسه، ج1، ص: 291.

109. ابن خلدون، المقدمة، ص: 432.

110. المصدر نفسه، ص: 432.

111. النعيمي، الدارس، ج1، ص: 450.

112. محمد كرد علي، خطط الشام، ج6، ص: 69.

113. عبد الله عبد الدايم، تاريخ التربية، ص: 174.

114. ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري "د.ت"، لسان العرب، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، (القاهرة: مصر)، ج7، ص: 168.

115. ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم، ص: 45.

116. النعيمي، الدارس، ج1، ص: 165.

117. المصدر نفسه، ج1، ص: 179.

118. المصدر نفسه، ج1، ص: 379.

119. المصدر نفسه، ج1، ص: 300.

120. المصدر نفسه، ج1، ص: 591.

121. المصدر نفسه، ج1، ص: 299. نظر المدرسة: إدارتها، ويطلق على من يتولى إدارتها اسم الناظر الذي يتولى النظر في إدارتها من كافة النواحي، ويختار في العادة من كبار العلماء سعيد الديوه جي، التربية والتعليم في الإسلام ص: 99

122. المصدر نفسه، ج1، ص: 381.

123. المصدر نفسه، ج1، ص: 65.

124. المصدر نفسه، ج1، ص: 179.

125. المصدر نفسه، ج1، ص: 207.

126. المصدر نفسه، ج1، ص: 65.

127. المصدر نفسه، ج1، ص: 209.

128. المصدر نفسه، ج1، ص: 303.

129. المصدر نفسه، ج1، ص: 194.

130. المصدر نفسه، ج1، ص: 271.

131. المصدر نفسه، ج1، ص: 300.

132. المصدر نفسه، ج1، ص: 448.

133. البدري نزهة الأنام، ص: 41.

134. محمد كرد علي، خطط الشام، ج1، ص: 68.

135. النعيمي، الدارس، ج1، ص: 160.

136. المصدر نفسه، ج1، ص: 368.

137. المصدر نفسه، ج1، ص: 399.

138. المصدر نفسه، ج1، ص: 303.

139. المصدر نفسه، ج1، ص: 207.

140. المصدر نفسه، ج1، ص: 200.

141. المصدر نفسه، ج1، ص: 199.

142. المصدر نفسه، ج1، ص: 192 – 193.

143. المصدر نفسه، ج1، ص: 199.

144. المصدر نفسه، ج1، ص: 593.

145. المصدر نفسه، ج1، ص: 279.

146. المصدر نفسه، ج1، ص: 280.

147. المصدر نفسه، ج1، ص: 520.

148. المصدر نفسه، ج1، ص: 290.

149. النعيمي، الدارس، ج1، ص: 399.

150. ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم، ص: 45.

151. المصدر نفسه، ص: 42.

152. النعيمي، الدارس، ج2، ص: 3.

153. المصدر نفسه، ج2، ص: 89.

154. المصدر نفسه، ج1، ص: 157.

155. المصدر نفسه، ج1، ص: 204.

156. المصدر نفسه، ج1، ص: 409 – 410.

157. المصدر نفسه، ج1، ص: 303.

158. المصدر نفسه، ج1، ص: 477.

159. المصدر نفسه، ج1، ص: 192 – 193.

160. المصدر نفسه، ج1، ص: 368.

161. المصدر نفسه، ج1، ص: 214.

162. المصدر نفسه، ج1، ص: 311.

163. المصدر نفسه، ج1، ص: 214.

164. المصدر نفسه، ج1، ص: 297.

165. المصدر نفسه، ج1، ص: 306.

166. المصدر نفسه، ج1، ص: 372.

167. المصدر نفسه، ج1، ص: 311.

168. المصدر نفسه، ج1، ص: 368.

169. المصدر نفسه، ج1، ص: 302.

170. المصدر نفسه، ج1، ص: 302.

171. المصدر نفسه، ج1، ص: 277 – 278.

172. المصدر نفسه، ج1، ص: 303.

173. سعيد الديوه، جي، التربية والتعليم في الإسلام، ص: 107.

174. النعيمي، الدارس، ج1، ص: 160.

175. المصدر نفسه، ج1، ص: 399.

176. محمد كرد علي، خطط الشام، ج6، ص: 97.

177. النعيمي، الدارس، ج1، ص: 203.

178. المصدر نفسه، ج1، ص: 205.

179. المصدر نفسه، ج1، ص: 303.

180. المصدر نفسه، ج1، ص: 206.

181. ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم، ص: 720.

182. المصدر نفسه، ص: 67 – 73.

183. ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص: 248، وينظر النعيمي، الدارس، ج1، ص: 399.

184. النعيمي، الدارس، ج1، ص: 158.

185. المصدر نفسه، ج1، ص: 189.

186. المصدر نفسه، ج2، ص: 109.

187. المصدر نفسه، ج1، ص: 302.

188. المصدر نفسه، ج1، ص: 160.

189. المصدر نفسه، ج1، ص: 450.

190. المصدر نفسه، ج1، ص: 302.

191. المصدر نفسه، ج2، ص: 180.

192. المصدر نفسه، ج1، ص: 503.

193. المصدر نفسه، ج1، ص: 23.

194. المصدر نفسه، ج1، ص: 302.

195. المصدر نفسه، ج1، ص: 332.

196. المصدر نفسه، ج1، ص: 194.

197. المصدر نفسه، ج1، ص: 111 – 112. بشوت: جمع بشت، وهو عباءة رجالية يرتديها الرجل فوق ثيابه، وكانت تصنع من وبر الجمال وصوف الماعز، وهي نوعين: صيفي ناعم الملمس رقيق وغالي الثمن، وشتوي خشن رخيص الثمن. ويكبيديا - 20.8.2012 http://www.mediawiki.org

198. المصدر نفسه، ج1، ص: 111.

ببليوغرافيا

أ - <u>المصادر</u>

1- ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد عبد الكريم. (ت 630هـ). **الكامل في التاريخ**. ج8. بيروت: دار الكتب العلمية، 1987.

2- البدري، عبد الله بن محمد. (ت 909هـ). **نزهة الأنام في محاسن أهل الشام**. بيروت: دار الرائد العربي. 1980.

3- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله. (ت 779هـ). **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**. ج1. القاهرة: المطبعة الأزهرية، 1928.

4- ابن جبير، محمد بن أحمد. (ت 614هـ). **رحلة ابن جبير**. بيروت: دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، 1959.

5- ابن جماعة، بدر الدين محمد بن إبراهيم. (ت 790هـ). **تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم**. بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

6- الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد. (ت 1069هـ). **شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل**. بيروت: دار الكتب العلمية 1998.

7- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. (ت 818هـ). **مقدمة ابن خلدون**. بغداد: مكتبة المثنى، د.ت.

8- ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد (ت 681 هـ). **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**. ج1. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية 1948.

9- السبكي، أبو نصر عبد الوهاب بن تقي الدين. (ت 771هـ). **طبقات الشافعية الكبرى**. ج3. القاهرة: المطبعة الحسينية، د.ت.

10- أبو شامة المقدسي، عبد الرحمن بن إسماعيل (ت 665هـ). **الروضتين في أخبار الدوليتين**. بيروت: دار الجيل، د.ت.

11- القلقشندي، أحمد بن علي. (ت 821هـ). **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**. ج3. بيروت: دار الكتب العلمية، 1418.

12- المقدسي، محمد بن أحمد. (ت 380هـ). **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**. تحقيق: دي غويه. ليدن: مطبعة بريل، 1906.

13- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي. (ت 845هـ). **الخطط المقريزية**. 2ج. طبعة بالأوفست، بغداد: مكتبة المثنى، د.ت.

14- ابن مماتي، أسعد. (ت 606هـ). **قوانين الدواويني**. جمع وتحقيق : عزيز سوريال عطية. القاهرة: مكتبة مدبولي، 1991.

15- ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري. (ت 711هـ). **لسان العرب**. القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، د.ت.

16- النعيمي، عبد القادر بن محمد بن عمر. (ت 927هـ). **الدارس في تاريخ المدارس**. 2ج دمشق: مطبعة الترقي، 1948.

ب - <u>المراجع</u>

1- خليل طوطح. **التربية عند العرب**. ط11. القدس: د.ن، د.ت.

2- الحنفي، عبد المنعم. **الموسوعة الصوفية**. القاهرة: مكتبة مدبولي 2003.

3- الديوة جي، سعيد. **التربية والتعليم في الإسلام**. الموصل: مطابع جامعة الموصل، 1982.

4- شقشق، محمود عبد الرزاق وزميله. **تاريخ التربية**. القاهرة: دار النهضة العربية، 1968.

5- شلبي، أحمد. **تاريخ التربية الإسلامية**. القاهرة: دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، 1954.

6- شلبي، أحمد. **التربية الإسلامية: نظمها، فلسفتها، تاريخها**. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1982.

7- طلس، محمد اسعد. **التربية والتعليم في الإسلام**. بيروت: دار العلم للملايين، 1957.

8- عبد الدايم، عبد الله. **التربية عبر التاريخ**. ط5. بيروت: دار العلم للملايين، 1984.

9- عبود، عبد الغني. **في التربية الإسلامية**. ط2. بيروت: دار الفكر العربي، 1985.

10- كرد علي، محمد. **خطط الشام**. ج6. ط2. بيروت: د.ن، 1972.

11- مرسي، محمد منير. **التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية**. القاهرة: عالم الكتب، 1982.

12- مرسي، محمد منير. **تاريخ التربية في الشرق والغرب**. القاهرة: عالم الكتب، 1983.

ج- المقالات:

مقال المدرسة العمرية في دمشق. منديات ياسين الشام. www.yasminalsham.com **.**12.4.2012

مقال بشت: ويكيبديا. 20.8.2012 http://www.mediawiki.org.